بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

سلسلة التربية الإسلامية

(٨)

التربية العاطفية

مقالات

عبارة عن حلقات إذاعية

إعداد

الدكتور / حسن بن علي الحجاجي

مدير عام

فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بمنطقة مكة المكرمة

٢١ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ

الطائف المأنوس

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن المؤمن ينبغي أن تكون جميع مشاعره وعواطفه وأحاسيسه متوجهاً بهـــا إلـــى طاعة الله وطاعة رسوله فحبه وبغضه ورضاه وغضبه ينبغي أن يكـــون لله وفـــي الله تحقـــيقاً لمقتضى قول الله عز وجل : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المســـلمين) الآية ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان لغاية سامية ألا وهي عبادته ، وحده دون سواه ، لقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعـــبدون ...) الآيـــة ومـــن هذا المنطلق فالتربية العاطفية هي تلك الجهود والتدابير التي يبذلها المربون والمعلمون لتكون عواطف هذا الإنسان متوجهة الوجهة الصحيحة بحيث يكون المؤمن حبه لله ولرسوله وللمؤمنين وأن يحقق مفهوم البراء والولاء بكل ما تعنيه الكلمة .

ولقـــد سبق لي أن ألقيت جملة من البرامج الإذاعية تحت عنوان : " من معين التربية الإسلامية " في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية وبعض هذه الحلقات له علاقة بالتربية العاطفية فرأيت أن أقوم بنشرها تحت مســـمى التربية العاطفية ، لكنني لم ألتزم فيها بمنهج البحث العلمي الأكاديمي فلم أوثق النقولات ولم أخرج الأحاديث ولم أرقم الآيات لأني أعتقد أن دوري فـــيها دور الجامع والمرتب فهي على شكل مقالات الهدف منها تعميم الفائدة

لكـــل مـــن يطلـــع عليها سائلاً المولى العلي القدير أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يسدد خطانا وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

المؤلف

الحب في الله والبغض في الله : -

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فـــإن الإسلام قد ربى أمة ونقلها من حياة الجاهلية وظلام الجهل والكفر إلـــى نـــور الهداية وطريق السعادة فكان الواحد من المسلمين يوالي في الله ويعـــادي فـــي الله ، وكان يقدم الإسلام على كل شيء ويقدم حب الله وحب رسوله على حب الأهل والولد فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه في غزوة بدر يطلب ابنه عبدالرحمن المبارزة بل ويطلب من أبيه أن يبارزه فتقدم إليه أبوبكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " امتعنا بنفسك " ، وهذا يدل علـــى أن الولاء في الإسلام لله ولرسوله ولكتابه وللمسليمن عامة وأن البراء مـــن الشـــرك وأهله حتى لو كانوا من أقرب الأقربين ، قال الله تعالى : (لا تجـــد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) ، وجعل الوشيحة والرابطة هي أخوة الإيمان ورابطة العقيدة والدين ، قـــال تعـــالى : (إنمـــا المؤمـــنون أخوة) ، والحب في الله والبغض في الله من الأمور التي حـــث علـــيها الإسلام واستفدناها من سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بقولـــــه وفعله : فقال عليه الصلاة والسلام : " حب لأخيك ما تحب لنفسك " وهذه من العبارة الجامعة تندرج تحتها معان جمة وأخلاقيات كثيرة ولقد كان علـــيه الصـــلاة والسلام يعرف لأبي بكر قدره ومكانته إنه الرفيق في الغار والرفـــيق في الهجرة والخليفة الأول في المسلمين ، لقد ضحى بنفسه ووقته ومالـــه في خدمة هذا الدين والدفاع عن النبي الأمين فحاز بذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم له وتقديره له فعندما أراد المبارزة قال له : " امتعنا

بنفسك " .. أما ابنه عبدالرحمن أسلم بعد غزوة بدر وهاجر قبل الفتح ورزقه رســـول الله من خيبر أربعين وسقاً كما يقول ابن كثير يرحمه الله وكان من ســـادات المسلمين وهو الذي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مـــات وعائشة مسندته إلى صدرها ومعه سواك رطب فرمقه ببصره فأخذت عائشـــة ذلك السواك فقضمته وطيبته ثم دفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم فاستن به أحسن استنان ثم قال : " اللهم في الرفيق الأعلى " فقالت : فجمـــع الله بيـــن ريقي وريقه ومات بين سحري ونحري في بيتي ويومي لم أظلم فيه أحداً .

أخـــي القـــارئ دين الإسلام دين الطهر والعفاف فالسواك مرضاة للرب مطهرة للفم ومغضبة للشيطان . ويستحب على كل وقت ويتأكد استحبابه عن القيام من النوم وعند تغير الفم وعند الصلوات . قال صلى الله عليه وســـلم : " لـــولا أن أشـــق علـــى أمتـــي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " ، والنبي المصـــطفى صلى الله عليه وسلم رمقت عيناه السواك مع عبدالرحمن بن أبي بكـــر ولحظـــت ذلك عائشة فأخذته من أخيها وقدمته إلى رسول الله بعد أن رطبته وطيبته فاستاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلقى الله طيب الفم طيب الريح ، بأبي هو وأمي .

ونســـتفيد مـــن هذا الموقف أن المرأة المؤمنة رضية في زوجها تسعى جهدهـــا لخدمـــته وإســـعاده وتلبـــية احتياجاته وهي إذ تفعل ذلك تطيع ربها وترضـــي بعلها وتنال بذلك رضى ربها ومثوبته وجنته ، قال صلى الله عليه وسلم : " من مات زوجها وهو راض عنها دخلت الجنة " .

وإن عبدالرحمـــن بن أبي بكر عاش بعد رسول الله وأدى رسالته بصفته أحـــد أصـــحاب رسول الله في الذود عن حياض الدين فأبلى بلاءً حسناً في حروب المرتدين وشهد فتح اليمامة وقتل يومئذ سبعة وهو الذي قتل محكم بن الطفـيل صـــديق مســيلمة على باطله كان محكم واقفاً في ثلمة حائط فرماه عبدالرحمـــن فســـقط محكـــم فدخل المسلمون من الثلمة فخلصوا إلى مسيلمة فقتلوه وقد شهد فتح الشام وكان معظماً بين أهل الإسلام .

إن الإســـلام يصنع المسلم صناعة جهادية إن صح التعبير يضحي بكل غال ونفيس من أجل غاية سامية ألا وهي رفع راية لا إله إلا الله لتكون كلمة الله هـــي العلـــيا وكلمـــة الذين كفروا السفلى . بهذه الروح الجهادية انتصر المسلمون وعز جانبهم وقويت شوكتهم إنهم يحرصون على الموت والشهادة أكثر من حرص غيرهم على الحياة . وما تأخر المسلمون اليوم وما انتهكت حـــرماتهم وديست مقدساتهم وتعالى عليهم أعداؤهم وسفكت دماؤهم وانتهبت أموالهـــم إلا عندما تركوا الجهاد وركنوا إلى الدنيا وحرصوا على الحياة وقد ورد عـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تراجعوا أمر دينكم " .. أي والله لقد ركن المسلمون اليوم إلى الدنيا وحل بهم الخـــور والجبن ولم يفكروا مجرد تفكير في الجهاد في سبيل الله فحل بهم ما حل ولسان حالهم يكفي عن سؤالهم ، فإلى الله المشتكى وإليه الملاذ ، كم هي اليوم جراح أمة الإسلام ؟ وكم هي نكباتها ؟ وكم هي الكوارث التي حلت بهم في شرق الدنيا وغربها ؟ ، اللهم ردنا إليك رداً جميلاً واحي في نفوس الأمة الجهـــاد في سبيلك ، الجهاد الذي تربى عليه أصحاب محمد بن عبدالله صلى الله علـــيه وسلم ومارسوه واقعاً وحالاً وسار على منهاجهم سلف هذه الأمة ،

ففـــتحوا الـــبلاد ورفعوا راية لا إله إلا الله خفاقة في كثير من ربوع الأرض وســـعدت بهـــم الدنيا ونقلوا دين الله عقيدة في النفس وواقعاً في السلوك فما أحـــرانا اليوم ونحن نلحظ المآسي والآلام التي تنزل بأمة الإسلام أن ندرس ســـيرتهم ونســـير على منهاجهم ونربط الأجيال اللاحقة بسلفهم الصالح عن طريق دراسة هذه السيرة إن واقع أمتنا اليوم وحالها لا تحسد عليه فقد تمزق شـــملها وتجاذبـــتهم الأهـــواء وابـــتعدوا عن دين الله وتسلط عليهم الأعداء وســـاموهم الخســـف والذل وأكبر شاهد على ذلك واقع المسلمين في البوسنا والهرســـــك والشيشـــــان وكشمير وبورما والفلبين وغير ذلك من بلاد الله الواسعة .

إنـــنا نشكو حالنا إلى الله ونقول وبكل ثقة ونردد قول عمر : نحن أناس أعـــزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله ولا عزة لنا بغير الإســـلام ، فالله الله أيها المسلمون بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اللـــهم ردنا إليك رداً جمـــيلاً ووفقنا للتمسك بكتابك وسنة نبيك .. اللهم آمين .

كيف توجه العواطف والأحاسيس الوجهة الصحيحة :-

الحمـــــد لله والصـــــلاة والســـلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فالتربـــية العاطفـــية تحـــث الفرد على أن يوجه كل مشاعره وعواطفه وأحاسيسه وغرائزه إلى الله وحده ، فلا يحزن إلا إذا فرط في حقوق الله ، أو إذا وجد أن جزءاً من أجزاء قلبه خال من محبة الله ، أو أن جزءاً من أجزاء بدنـــه متصرف في غير محاب الله . كما أنه لا يفرح إلا إذا وفق لطاعة الله ومحبـــته ، ولا يخاف إلا إذا حرم هذه الطاعة وهذه المحبة فمن كان الله معه فمالـــه وللخـــوف ، قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل علـــيهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ...) ، والله سبحانه وتعالى يكون مع عـــباده إذا كـــانوا محســـنين متقين لله ، قال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله عز وجل قدوته في ذلك الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي ما غضب لنفسه قـــط إلا أن تنتهك محارم الله . فكل غرائز الإنسان ودوافعه الأولية يجب أن نـــتوجه وفق ما يحبه الله ويرضه . ومتى وصل الإنسان إلى هذه الحال شعر بالسعادة وذاق حلاوة الأمن والطمأنينة في الدنيا وظفر بالفوز والرضوان في الآخرة .

إن الغضـــب هو عارض من عوارض النفس البشرية وهو غول العقل يغـــتاله كما تغتاله الخمر ، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم القاضي أن

يقضي وهو غضبان ، والغضب عدو العقل وهو له كالذئب للشاة وهو مرض من أمراض القلوب وداء من أدوائها فالعاقل لا يستدعي الغضب ولا يريده بل هو أكره شيء إليه ، وهو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم جمرة في قلب ابـــن آدم أمـــا رأيتم من احمرار عينيه وانتفاخ أوداجه ، ولقد جاء رجل إلى النبـــي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يوصيه ، فركز وصيته في كلمة واحـــدة ، قال : " لا تغضب " فردد مراراً ، قال : " لا تغضب " ، فالغضب كمـــا يعرفه بعض الكتاب المسلمين هو انفعال بشري ينبع من فطرة الإنسان ويخـــتلف مـــن شـــخص لآخر ، فمن الناس من يكون انفعاله حاداً فيصاب بالغضب والانفعال والتشنج لأدنى الأسباب فيفقد اتزانه وزمام نفسه وعقله ، وقـــد يدفعـــه ذلك بما لا يلائم مكانته ورسالته بقوله كلاماً يسبب له الأذى أو يسقطه من عين الناس ، أو يوقعه في الحسرة والندامة .

إن للمســـلم مكـــان في هذا الكون وبين هذه الكائنات فهو مخلوق مكرم وخلـــيفة الله في أرضه يعمر هذا الكون بالخير والعمل الصالح ، فالغضب لا يناســـبه ولا يتفق مع رسالته ولا يلائمه الانتقام ولا يفيده التشنج . ولقد كان الرســـول صـــلى الله عليه وسلم عارفاً بحال السائل الذي طلب الوصية وقد عـــرف بأنه من النوع العاطفي المنفعل الذي يثور ويغضب لأدنى سبب ومن هـــنا نصحه بعدم الغضب ، فقال : " لا تغضب " ، أي لا تفعل ما يؤول بك إلـــى الغضب ويحملك عليه من الأقوال والأفعال ومن مميزات هذا الدين أن يعـــترف بالصـــفات البشرية ويعالجها بحكمة ، فالغضب جبلة تختـــلف من شـــخص لآخر ، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك ، فيقول : (والذين يجتنبون كـــبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا فهم يغفرون) ، وفي هذه الآية إشارة حكيمة إلى المؤمنين أنهم إذا ما غضبوا يغفرون ويصفحون ويتجاوزون .

ولا يكون الغضب مذموماً بعمومه ولا شراً دائماً بل من الغضب ما هو من أجل ممدوح ومطلوب ، فإن الغضب لله ولدينه والعدل غضب مطلوب ، وعـــرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يغضب لنفسه وإنما كان يغضـــب إذا انتهكت محارم الله . عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قـــال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني لأتأخر عن صـــلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ، فما رأيت النبي صلى الله عليه وســـلم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ ، فقال : " يا أيها الناس إن مـــنكم منفرين فأيكم أمّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة " .

وللغضـــب مضار على الصحة فهو سبب من الأسباب الرئيسة لارتفاع ضـــغط الـــدم وتصلب الشرايين ، إلى جانب كثير من الأمراض التي يكون للغضب فيها دور رئيس .

ولقـــد وجهـــنا المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى علاج سريع وناجع لحـــالات الغضب منها : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وذكر الله عز وجـــل : (ألا بذكر الله تطمئن القلـــوب) ، والتحلـــي بالصـــبر والتجلـــد : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ، وتعمد إتيان الصـــلاة في حال الغضب والتحول من حالة إلى حالة ، فإن كان قائماً فليقعد وإن كان قاعداً فليضطجع ... إلى غير ذلك مما ورد في الطب النبوي .

وفقنا الله وإياكم إلى كل خير وأبعدنا عن مواقف الغضب ونوازع الشر ونـــرجوه ســـــبحانه أن يلهمنـــا رشدنا وأن يعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

كيف يتم توجيه عاطفة الحب :-

الحمـــد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فـــإن حـــب عائشـــة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل حب الصحابة رضـــي الله عـــنهم بـــل إن كل مؤمن حقيقي الإيمان يحبه أكثر من نفسه أما الصـــحابة رضـــوان الله عليهم فإن حبه عليه الصلاة والسلام قد ملك عليهم شـــغاف قلوبهم بل إن بعضهم كان يشتاق إليه وهو عنده وقد ظهر هذا الحب فـــي واقع حياتهم العملية وظهر واضحاً جلياً في كثير من المواقع والأحداث ففـــي غزوة أحد عندما تأرجح ميزان النصر ومالت الكفة ضد المسلمين كان بعضـــهم يقف أمام سهام الأعداء درعاً واقياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانـــت ســـهام المشركين تصيب من ظهورهم وصدورهم . بل إن سيرتهم رضـــوان الله علـــيهم كانت وما تزال مليئة بمعاني الحب والفداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن التابعين رضوان الله عليهم قد ملئت قلوبهم بحب رسول الله صلى الله علـــيه وسلم وكانوا يحبونه حباً جماً مع أنهم لم يعيشوا معه ولم تتمتع أعينهم برؤيته بل كانوا يرون أن الصحابة قد من الله عليهم بمشاهدته وصحبته فكان يقول أحدهم لحذيفة رضي الله عنه : هنيئاً لكم يا حذيفة لقد أدركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشتم معه ، والله لو أدركناه لحملناه فوق أعناقنا . من شدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يقولون هذا بصدق وإيمان . فهـــذا ثابـــت البناني التابعي الجليل يقول لأنس بن مالك رضي الله عنه :

اعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبلهما ، هكـــذا كـــانوا يحبون رسول الله حباً صادقاً لا حب عاطفة مجردة عن الواقع والعمـــل لأن الحـــب الحقيقي هو الذي يقتضي الاتباع ويستلزم العمل بهديه صـــلى الله عليه وسلم ، فلا يكمل إيمان المسلم إلا بحب النبي صلى الله عليه وســـلم ، لأنـــه قد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " لا يؤمن أحدكم حـــتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " ، وحبه عليه الصلاة والســـلام من حب الله عز وجل فمن أحبه فقد أحب الله . لأن الله يحبه وأمر بحبه ، يقول ابن القيم رحمه الله : [وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحـــبة الله وتعظـــيمه لمحـــبة رسوله وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظـــيمه فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له . فهـــي محبة لله من موجبات محبة الله بل إن المسلم كما ينبغي لـــه أن يعيش هـــذه المحبة يتوجب عليه أن يربي أولاده عليها ويدربهم على هذه المحبة . ويحملهم على موجبها ومقتضاها . كيف لا ؟ وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم على تأديب الأولاد وتربيتهم على ذلك ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " أدبـــوا أولادكـــم على ثلاث خصال ، حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وقراءة القـــرآن " ، وفي الحديث وصية للآباء بتربية أولادهم على حب رسول الله ، وحـــب أهل بيته فيحبهم بحبه وحب تلاوة القرآن وقراءته وتفهم معناه ، لكن حب آل البيت لا يعني الغلو فيهم كما يفعل الرافضة بل منن كان صالحاً منهم تقياً مؤمناً فهو يحب لإيمـــانه ولانتسابه لآل البيت حباً معتدلاً لا غلو فيه ولا إفـــراط ، أما إن كان فاسقاً عاصياً لله كافراً به فإنه في زمرة أبي لهب وأبي جهـــل مـــع هامان وفرعون ، ولقد ذكر صلى الله عليه وسلم في أخبار الفتن حديثاً جاء فيه : " فتنة السراء دخنها أو دخلها من تحت قدمي رجل من أهل بيتـــي يزعم أنه مني وليس مني إنما ولي المتقين " . وقد قال صلى الله عليه

وســـلم : " لا يأتونـــي الناس بأعمالهم وتأتوني بأحسابكم " .. فعلى من كان ينتمي لآل البيت أن يكون قدوة للناس في عقيدته وعمله وسلوكه كما كان جده قـــدوة للناس . أما تربية الأولاد على محبة القرآن فتكون بالقدوة العملية من الأب والأم وكل كبير في الأسرة فإذا نشأ الأطفال في بيت يعظـــم فيه كتاب الله ، ويتلى آناء الليل وأطراف النهار ، ويعظم كل التعظيم فإنهم ينشأون على ذلـــك ، بـــل إذا عـــودوا علـــى تلاوة القرآن وقراءته وقص عليهم قصصه وضربت لهم أمثاله بلغة مبسطة يعرفونها يكون هذا سبباً ودافعاً لحبهم القرآن لأنهم يعتادون ذلك ، يقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

إن الارتـــباط بســـيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتضمنة وصفه وملامح شخصيته وشمائله وفضائله تدعو المطلع عليها على حبه والاقتداء به فهـــي الجانـــب التطبيقـــي لهدي هذا الدين فعلى الأب المسلم أن يربط أولاده بسيرة رسول الله صلى الله عليه وســـلم ويستعين ببعض الكتب في ذلك مثل كـــتاب [زاد المعاد في هدي خير العباد] لابن القـــيم رحمه الله . وكـــتاب [السيرة النبوية] لابن هشام . وبعض كتب الحديث . فمن المناسب لو حضّر الأب بعـــض الموضـــوعات التي تتعلق بشخصيته وتبرز أخلاقه وشخصيته وصـــبره وعفـــوه وطرفاً من سيرته في مكة والمدينة وبعض الأحداث التي تخللت حياته ويذكر هذا بصورة مختصرة ويعلق على بعض المواقف الهامة مـــبرزاً جوانـــب شخصيته صلى الله عليه وسلم حتى تتعلق قلوب أولاده به ويحبونه حباً عظيماً فيشجعهم الأب على حفظ بعض أحاديثه القصيرة واضحة المعـــنى المتضـــمنة لبعض الأخلاق والآداب النافعة فيكافئ من أجاد الحفظ ببعض الجوائز ، إن من يفعل ذلك يقتدي بالمربين من سلف هذه الأمة .

ذكـــر ابـــن الجوزي أن بعض السلف رضوان الله عليهم كانوا يعطون أولادهـــم بعـــض النقود ليشجعوهم على سماع الحديث فأسلوب التشجيع من الوسائل الهامة في التربية الإسلامية وهي داخلة في مبدأ الثواب والعقاب كما على الأب أن يذكر لأبنائه بعض مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تبرز محبته للأطفال ورحمته بهم وشفقته عليهم خاصة ما ورد عنه في حب الحســـن والحسين رضي الله عنهما . فقد كان يخطب مرة على المنبر فأقبل الحسين بثوب طويل يتعثر في مشيته فقطع عليه الصلاة والسلام خطبته ونزل من المنبر واحتمله عليه الصلاة والسلام . ففي هذا درس لك أيها الأب .

إن حـــبك لأولادك وعطفـــك عليهم وشفقتك عليهم يجعلهم ينشأون نشأة ســـوية تمـــلأ قلوبهـــم المحبة والعطف والحنان ، إن ذكر مثل هذه المواقف يؤصل في قلوب الأطفال محبة هذا النبي العظيم صلوات ربي وسلامه عليه .

تأثير الدعاء على إزالة الهم والحزن :-

الحمـــد لله فارج الهم ومزيل الغم ، والصلاة والسلام على النبي الهادي وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالســـاً فيه . فقال : " يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في غير وقت صلاة ؟ " قـــال : هموم لزمتني وديون يا رسول الله . فقال : " ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك ؟ " فقال : بلى يا رسول الله . قال : " قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك مـــن العجـــز والكسل وأعوذ بك من البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال " ، قال : فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني . رواه أبـــو داود . لقد كان النبي المعلم والمربي صلى الله عليه وسلم يهتم بأصحابه ويـــتفقد أحوالهم ويرعى شؤونهم ويتحسس مشاعرهم فإذا رأى المهموم منهم سأله عن حاله وأرشده على ما يفرج كربه ويذهب عنه حزنه فها هو قد دخل المســـجد فرأى أبا أمامة جالساً فيه قد بانت على وجهه الهموم وسيطر عليه الحزن فسأله عما أجلسه في المسجد والوقت ليس وقت صلاة فصارحه بحاله وكاشـــفه بحقـــيقة أمره فقال : هموم لزمتني وديون . فأرشده صلى الله عليه وســـلم علـــى أدعـــية فيها تفريج كربته وإزالة همومه بعد أن سأله ليستثير اهتمامه ويلفت انتباهه إلى أهمية الدعاء . فقال له : " ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهـــب الله همك وقضى دينك ؟ " فقال لـــه : بلى يا رسول الله . إنها النبوة

الحقة والوحي الذي ينطــق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) ، ثم ذكر لــه الأوقــات الفاضلة التي غالباً ما يستجاب الدعاء فيها إنها فترة العشي والإبكار يقول هذا الدعــاء : " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن " ، والهم والقلق يكونان في الأمــور المهمــة المقبلة التي يرجو الإنسان حصولها أو يخاف شر وقوعها كطالــب في مدرسة شغل الهم قلبه بسبب إقبال الامتحان فيكون مشغولاً دائم التفكــير يخشى صعوبة الامتحان ويفكر في أحوال الناجحين والراسبين فهو بهــذا التفكير يضيع وقته من غير ما فائدة وكان حري به أن يجد في دروسه ويقبل على الطلب والتحصيل ويستعد لدخول الامتحان ويدع النتائج لله وحده ويعتقد أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فــالهم مضيعة للوقت من غير جدوى ولا فائدة ويدعو إلى التقصير في الواجــب والــتقاعس فــي التدبــير النافع لنيل الخير المرجو أو تجنب الشر المحــذور من أجل ذلك تعوذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم كما تعوذ من الحــزن الذي يكون على فوات أمر محبوب أو ضر نازل ، والحزن مذموم وقد نهى الله عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : (ولا تحزن ولا تك في ضــيق مما يمكرون) .. فالحزن لا ينبغي أن يكون إلا في الله ومن أجل الله عز وجل .

وفقنا الله لما يحب ويرضى .

من أهم وسائل غرس المحبة في نفس الطفل :-

الحمـــد لله والصـــــلاة والســـلام على رســـول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فـــإن مـــن أهـــم حاجات الطفولة حاجة الطفل إلى المحبة والعطف ففي أعماق الطفل الصغير حاجة ملحة إلى أن يكون محل محبة الآخرين وعطفهم وهـــو يتغذى نفسياً بهذه المحبة التي ينعم بها من أمه وأبيه وأهله وذويه كما يتغذى جسمياً بالطعام الذي ينمي جسمه ويبعث فيه دفئ الحياة وأسباب النمو ويوصـــي الأطباء أطباء الجسم وأطباء الصحة النفسية على السواء بضرورة توفير هذا العطف . فلو احتاجت الأم إلى الرضاعة الصناعية فيجب عليها أن تحضـــن وليدها وتدنيه من صدرها كما لو كانت تلقمه ثديها في هذا الجو من العطف والحنو ينشأ سليماً معافى . وإذا فقد الصغير العطف والمحبة نشأ غير ســـوي وأصـــاب صحته النفسية والعقلية والخلقية انحراف . وكثير ما تكون بدايـــات الشذوذ والانحراف والإجرام من فقدان الصغير العطف ممن حوله . والطفل كما أنه في حاجة إلى أن يكون محبوباً من الآخرين يتلقى عطف من حولـــــه هو أيضاً بحاجة إلى أن يحب وأن يعطف على من حوله وقد تؤدي الدمية الصغيرة في يد الطفلة الصغيرة شيئاً من هذه المهمة فهي تنمو وتتغذى نفســـياً بعطفها على لعبتها التي تعاملها كما لو كانت بنتاً لها وتقيم نفسها منها مقـــام الأم ، فعلى كل من الأب والأم وكذلك المعلم والمعلمة أن يهيئوا الجو لتلبـــية هذه الحاجة عند الأطفال فحيطونهم بالحب والعطف والحنان والشفقة والرحمة .

ومن الحاجات الهامة والضرورية للأطفال الحاجة إلى الاحترام والتكريم والـــتقدير ، فالإنسان عامة لا يرض أن يكون مكان ازدراء واحتقار من قبل أي شخص أبداً ، وليس الطفل الناشئ على ما فيه من ضعف وعجز وقصور بالنسبة إلى الآخرين خلواً من الشعور بكرامته والحرص على تقدير ذاته إنه يعلـــم أنه طفل ولكنه في أعماق نفسه لا يرض بالهوان ، وكلما نشأ وترعرع نما لديه هذا الشعور بالكرامة وكأن هذا سمة فطرية من سمات هذا المخلوق الإنســـاني المكـــرم الذي أعلن الله في محكم قرآنه كرامته ومنزلته في قوله تعـــالى : (ولقد كرمنا بني آدم) ، فعلى المربين أن يراعوا هذا الشعور لدى الطفل ويجعلوه يسير في طريقه السوي وليحافظوا على كرامة الذين يربونهم ولهـــذا الشـــعور مهمة نفسية وتربوية سامية ، فالإنسان ذو الكرامة ينأ بنفسه عـــن قبائح الأعمال ومرذول الأخلاق ، ومن فقد كرامته ، وهانت عليه نفسه سُـــدّ الطريق بشأنه أمام جهود المعلمين والمربين والمصلحين ، إلا أن تعود إليه كرامته وليس هذا بالأمر السهل ، فوصيتي إلى الآباء والمعلمين والمربين أن يولـــوا هذه الحاجة عنايتهم الفائقة فيشعرون هؤلاء الأطفال الذين هم أمانة في أعناقهم بالتقدير والتكريم والاحترام .

وهـــناك حاجة لا تقل أهمية عن الحاجات التي ذكرناها ألا وهي الحاجة إلـــى الحـــرية فـــالطفل مخلوق نام باستمرار ومتحرك على الدوام ، فالنشاط والحركة والنمو تجعل الطفل يسير قدماً لينضم إلى ركب الراشدين ، ويكتمل خلقاً وخُلقاً والنشاط والحركة ينبعثان من داخل نفسه من أجل هذا فإنه لا نمو دون حرية والطفل يعشق الحرية ويسعى إليها ، فلو أنك أيها المربي وضعته في غرفة مليئة بألوان من الألعاب وتركته يلهو بها ما شاءت له طفولته ، ثم

شـــعر بـــأن القاعة قد أغلقت أبوابها مع ما فيها من ألعاب تسره ، لعاف هذه القاعـــة بمـــا فيها واتجه إلى الباب يطلب الخلاص من هذا السجن أو القفص الذهبي .

وبالحـــرية وما معها من نشاط وحيوية وحركة يُحصّل الطفل الخبرات اللازمـــة لنموه الجسمي والعقلي والخلقي والاجتماعي والفني والعلمي . ولا يعنـــي هذا أننا ننادي بالحرية المطلقة ، لأن هذه الحرية هي الفوضى بعينها وهي التي تقضي على الحرية نفسها في نهاية الأمر ، لا نبخل بالحرية على الطفـــل ولا نســـرف في حرية غير موزونة . وبجانب هذه الحاجة – أعني الحاجـــة إلـــى الحـــرية – فالطفل في قرارة نفسه بحاجة إلى سلطة ضابطة وموجهـــة ، فهو محتـــاج إلى من يرشده ويوجهه ، ولا غرابة في هذا فهو يشـــعر فـــي أعماق نفسه بأن عند الكبار ما ليس عنده من العلم بالأمور وبما ينفع وما يضر ، وبما يصح ولا يصح ، كما يشعر بحرص أبويه وذويه على الخـــير له وتحري مصلحته لذا فهو يأنس إلى رأيهم ويرغب أن يرشدوه إلى ما ينفعه وينبهوه إلى ما يضره ، وقد يُعلل عزوف الأطفال أحياناً عن اللعب والمغامـــرة والمخاطرة بسبب عدم وجود أحد بجانب الطفل يرعاه ويكفه عن بعـــض النشـــــاط إذا جاوز حده وقارب منطـــقة الخطر والضرر . إلا أن الطفـــل قد لا يبرر شعوره بهذه الحاجة عند الآخرين ، لأنه يعلم أن الكبار قد يمنعونه مما يحب ويشتهي من ألوان النشاط والمخاطرة .

ونحـــن الكبار قد نسرف في الأمر والنهي والتحكم في تصرفات الطفل فـــيكون ذلـــك ممـــا يزهده في هذه السلطة ويصرفه عن الإفادة من توجيهها

والحكمـــة تقتضي أن نشعر الطفل بحبنا له وحرصنا عليه ونتركه ينشط حتى إذا ما قارب مجاوزة حده نبهنا وأمرناه ونهيناه .

إن مســـؤولية التربـــية عظـــيمة وخطـــيرة تتطلب من الآباء والأمهات والمربيـــن الوعي الكامل والإدراك والإحاطة بما ينبغي الأخذ به من التدابير والأعمـــال الـــتربوية التي تجعل الناشئ ينمو سوياً صحيح البدن سليم العقل مـــتكامل الحواس يتمتع بصحة نفسية حتى يسعد في حاضره ومستقبله ، فهل نعي هذا ؟ .. أرجو من الله للجميع التوفيق والسداد .

التربية العاطفية وحاجات الطفل :-

الحمـــد لله والصـــــلاة والســـــلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

لقد لاحظ المربون وعلماء النفس المعنيون بالطفولة أن للأطفال حاجات نفســية لا تقــل فــي أهميتها عن حاجتهم إلى الغذاء وإلى الرعاية الصحية الجســمية فــإذا وفــى القائمون على تنشئة الأطفال وتعليمهم بهذه الحاجات وراعوهــا فــي سلوكهم مع تلاميذهم صارت العملية التربوية والتنشئة على وجهها الصحيح في طريقها الناجح استقامت الصحة النفسية لأولئك التلاميذ ، وإن تجوجهــت هــذه الحاجات وجهة غير سليمة اضطربت أحوال الناشئين وتخلخلــت العملــية الــتربوية بقدر ما حصل من الإخلال والتجاهل ، وفقد الناشــئون الصــحة النفسية التي لا تقل عن الصحة الجسمية أهمية ، بل ولا تنفصل عنها ، وقد اتجه العلماء اتجاهات في حصر هذه الحاجات وتعدادها ، فمــنهم مــن قصرها على عدد ضئيل ومنهم من وسع هذا العدد ، فمن هذه الحاجات :

١- الحاجة إلى المغامرة والمخاطرة :

تــبدو هــذه الحاجــة فيما يقوم به الأطفال من ألوان النشاط التي يجــربون قدراتهم ويختبرون ما يمكنهم أن يفعلوه بما وصلوا إليه مــن قــدرات جديدة لم تكن لديهم من قبل ، بل ينشطون لتحصيل مــزيد من القدرات والطاقات والتغلب على الصعوبات ، وكثير ما يخــاف الأهل على أولادهم من هذه المغامرات الخطرة التي يقوم

بهـــا أولادهـــم ويحســـبون لها كل حساب ولكن الأطفال مغرمون بالمخاطـــرة مولعـــون بالمغامـــرة لا يبالون بما يرغب أهليهم ولا بمشاعرهم وأحياناً لا يبالون بنصحهم ولا بتهديدهم .

ونحـــن لا نغالـــي مـــع هؤلاء الآباء والأمهات الذين يؤثرون لأولادهم الســـــلامة فـــإن بعـــض الســـلامة يؤدي إلى الضعف والضمور في القوى والقدرات ، ونرى أن وضع الأطفال في وسط يغريهم بالمخاطرة ويمكنهم أن يحققـــوا هذه الحاجة النفسية يولد الثقة وهي عنصر أساس في النشأة السليمة والشخصية السوية ويشحذ العزائم ويكسب الناشئ الطاقات التي هي في سبيله وهـــو يغامـــر ويخاطـــر ، والتي لا يمكن أن يحصل شيء منها مع القعود والخمـــول وإيـــثار السلامة والعافية التي ليس معها إلا العفاء وموت الهمم . ومـــع ذلك فإن اليقـــظة والإشراف الحكـــيم من تمام الوفـــاء المنهجي بهذه الحاجـــة ، لأن تـــرك الطفل دون مراقبة أو توجيه قد يعرضه للخطر فتلبية حاجـــة المغامـــرة والمخاطـــرة ينبغـــي أن تتم على مسمع ومرأى من أبويه والمشرفين على تربيته بخلاف من ينادون بالحرية في التربية الذين يرون أن يـــترك الطفـــل حـــراً فـــي التصرفات يتعلم من خبراته فهم بمبدأهم هذا قد يعرضون الطفل إلى الضرر والخطر أو يعرضون مصالح الآخرين للضرر والفساد ، إذاً باختصار نقول [إن تلبية هذه الحاجة من حاجات الطفل ينبغي أن تلبى في حالة وسطاً بين الإفراط والتفريط فنتركه في بعض المواقف يتقدم لفعـــل أمـــر دون خـــوف أو تـــردد أو وجل وبالمقابل نحيط هذا التصرف بالملاحظة والتوجيه والإرشاد ، فمثلاً لو أراد القيام بلون من ألوان الرياضة كالتســـلق مـــثلاً إلـــى مكان عال ، ورأينا أنه لا خطر عليه ولا ضرر وكنا قريبين منه وشجعناه إلى ذلك ، نكون قد ربيناه على الجرأة والشجاعة ونمينا

فـــي نفسه الحاجة إلى المخاطرة ، ومثل هذا الموقف يندرج على غيره أيضاً كالسباحة والقفز وركوب الخيل .

ومـــن هـــذه الحاجـــات أيضاً الحاجة إلى الأمن والطمأنينة ، فالأطفال يشعرون بهذه الحاجة عندما تحوطهم حماية ورعاية من هم أكبر منهم سناً ، وإذا ظهر على بعض الصغار علامات الخوف والرعب فمن الحكمة اكتشاف ســـبب الخـــوف والذعر ثم علاج هذا السبب ليزول الخوف وقد حكى بعض الآباء خوف ابنته منن الضبع القابع في المطبخ ، وانكشف بعد ذلك أن ضبع الطفلـــة الصـــغيرة إنما هو صرصور ولأمر ما ركبت اسم الضبع على هذا الصرصـــور وكانت سمعت ممن حولها عن الضبع وأخطاره قصصاً فخافت حقـــاً مـــن هذا الضبع ، وتوقعت منه كل تلك الشرور التي تأتي منه ، ولعل الخيال الجامح الذي يمتاز به الطفل قد عظم وكبر هذه الشرور أيضاً .

إن الحاجـــة إلـــى الأمن مع الحاجة إلى المغامرة تشكلان لدى الأطفال سلســـلة متـــناوبة من النشاطات فكل ما أمن الطفل قام بمغامرة وكل ما قام بمغامرة انتهت بالنجاح تكوّن لديه شعور بالأمن والثقة ، وهكذا دواليك وهو فـــي الحاليـــن يـــنمو ويتربى وهذا يكشف لنا بعض السر في الحكمة الإلهية المتجلـــية فـــي خلق الله كله وفي عالم الطفولة الذي يموج بالحيوية ويزخر بالحركة والحياة .

إن عالم الطفولة يتميز غاية التميز عن عالم الكبار ، فمن مصلحة الطفل أن يلـــم الأبـــوان والمـــربون بخصائص هذه المرحلة التي يمر بها الطفل ، ويخطـــئ الكثير من الآباء والأمهات الذين يلجأون إلى تخويف أبنائهم ببعض

الحـــيوانات ، فينشـــأون فـــي حياة تتسم بالخوف والرعب إنها لا شك تربية مـــنحرفة تـــبقى آثارهـــا الـــتربوية مع الطفل طوال حياته ، فحري بالآباء والأمهـــات أن يلـــبوا حاجات الطفل بعد أن يعرفوها ، ويلتزموا فيها جانب التوسط والاقتصاد ويحذروا الإفراط والتفريط في المغامرة ، فيكونوا بذلك قد هـــيأوا جيلاً تسعد بهم الأمة ويعيشون حياة سعيدة ، ولقد ربى السلف أبناءهم على الثقة بالنفس والشجاعة والإقدام ، فكان الواحد منهم لا يخاف إلا الله ولا يخش أحداً سواه ، فكان الواحد منهم يخوض المعارك ويجاهد في سبيل الله ، لا يخاف بارقة السيوف ولا يخش قعقعة السلاح . ففي غزوة بدر بينما كانت المعـــركة بيـــن المسلمين والمشركين على أشدها يقول عبدالرحمن بن عوف رضـــي الله عـــنه : لم أشعر إلا وغلام عن يميني يقول : يا عماه ، أين أبو جهـــل ؟ . فقلت لـــه : وماذا تريد منه ؟ قال : أريد قتل هذا الذي عادى الله ورسوله . وقبل أن انتهي من حديثي معه إذا بغلام صغير عن يساري يسألني عـــن أبي جهل . عندئذ كان أبو جهل يسير في أرض المعركة ، قلت لهما : ذاك هـــو أبو جهل فابتدراه بسفيهما فأردياه قتيلاً . وهذان الغلامان هما أبنا عفراء وما وصلا إلى هذه الشجاعة والإقدام إلا بتربية إسلامية أوصلتهما إلى هذه النتيجة المشرفة .

توجيه فرح المؤمن إلى ما يسعده :-

الحمـــــد لله رب العالميـــن والصـــــلاة والســـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

فـــإن التربية العاطفية تبرز في شهر الصيام ، فعن رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم قال : " ... وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربـــه ... " ، فـــرحة عند فطره بأن أتيح له الأكل والشرب ، أما عن أسباب فـــرحة عند لقاء ربه ، يقول ابن رجب : [وأما فرحه عند لقاء ربه .. ففيما يجـــده عند الله من ثواب الصيام مدخراً ، فيجده أحوج ما كان إليه] كما قال تعال : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) وقال تعـــالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) ، وقـــال : (ومـــن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) يقول ابن عيينة : [إن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم ، بل يدخره الله عنده للصائم حتى يدخله به الجنة ، وفـــي المسند عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ليس مـــن عمـــل يـــوم إلا يختم عليه وعن عيسى عليه السلام قال : إن هذا الليل والـــنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خـــزنوه فـــيها مـــن خـــير وشر ، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها فالمـــتقون يجدون في خزائنهم العزة والكرامة والمذنبون يجدون في خزائنهم الحســـرة والـــندامة ، ويضـــيف ابـــن رجب رحمة الله عليه في بيان أنواع الصـــائمين قوله : [الصائمون على طبقتين أحدهما من ترك طعامه وشرابه وشـــهوته لله تعالى ، يرجو عنده عوض ذلك في الجنة فهذا تاجر مع الله عز

وجل ، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل : " إنك لن تدع شيئاً اتقاءً لله إلا آتاك الله خيراً منه " ، خرجه الإمام أحمد ، فهذا الصائم يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء قال الله تعالى : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) ، قال مجاهد وغيره نزلت في الصائمين . قال يعقوب بن يوسف الحنفي : بلغنا أ، الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة : يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وجاعت بطونكم ، كونوا اليوم في نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينكم : (وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) . وقال الحسن تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش ، فباهى بك الملائكة وقال : انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا أني قد غفرت له . فغفر لك يومئذ وزوجتيك .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم " وفي رواية : " فإذا دخلوا أغلق " وفي رواية : " من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً " وفي حديث عبدالرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ... في حديث طويل ، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع منه فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه " ، وعن أنس موقوفاً : " إن لله مائدة لم تر مثلها عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر لا يقعد عليها إلا الصائمون " ، وعن بعض السلف قال : بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة

يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون ؟ فـيقال : إنهـم طالما صاموا . فيقولون يا رب : نحن نحاسب وهم يأكلون ؟ فيقال : إنهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا ونمتم .

أما الطبقة الثانية من الصائمين . فهم أعلى منزلة من الطبقة الأولى وهم الذين يصومون في الدنيا عما سوى الله فالواحد منهم يمتثل وصية رسول الله صـلى الله علـيه وسلم سلوكاً وعملاً فيحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ويذكر الموت والبلى ، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه . وفرحه برؤيته .

هـذا شهر الصيام فيه الدروس والعبر لمن استفاد منه في تربية روحه وبـناء إيمانـه إنـه لموسـم عظيم على العاقل أن يغتنمه ويكثر من القرب والطاعـات ، ويصـون صيامه من كل ما يفسده أو يؤثر عليه . فيبتعد عن الكذب والغيبة والنميمة والشتم والسباب والبعد عن أكل الحرام بجميع أشكاله وصوره ، فقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الجامع الشامل عن جمـيع المـنكرات حـال الصيام فقال : " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهـل ، فلـيس لله حاجـة في أن يدع طعامه وشرابه " ، وأوصانا عندما نتعرض إلى الخصومة والنزاع بأن نقول : كما جاء في الحديث : " فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم " .

فما أسعدنا إن تمسكنا بهذا الهدي والتزمنا آداب الصيام ، وحرصنا على فعل الخيرات والمبادرة إلى الحسنات في شهر الصوم .. اللهم وفقنا في هذا

الشـــهر إلـــى ما تحب وترضى ، واجعله يا الله شاهداً لنا لا علينا وتقبله منا بحسن القبول إنك ولي ذلك .

الصيام بناء للعاطفة وتقوية للإرادة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

إن شـــهر رمضـــان المـــبارك مدرسة الثلاثين يوماً ، فالتربية العاطفية تتحقق كثير من جوانبها في شهر الصوم ، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " وللصائم فرحتان ، فرحة عن فطره ، وفرحة عند لقاء ربه .." فلمـــاذا هـــذا الفـــرح عند الفطر ؟ ولماذا ذاك الفرح عند لقاء الرب سبحانه وتعـــالى ؟ يقـــول ابـــن رجب رحمه الله . أما فرحة الصائم عند فطره فإن الـــنفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح ، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة مـــا منعت منه خصـــوصاً عند اشتداد الحاجة إليه ، فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً ، فإن كان ذلك محبوباً لله كان محبوباً شرعاً والصائم عند فطره كذلك ، فلما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار رمضان تناول هذه الشهوات فقد أذن له فـــيها في ليل الصيام ، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخـــره فأحـــب عـــبـــاده إليه أعجلهم فطراً ، والله وملائكته يصلون على المتســـحرين ، فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقرباً إلى الله وطـــاعة لـــه ، ويـــبادر إليها في الليل تقرباً إلى الله وطاعة له ، فما تركها إلا بأمر ربه ولا عاد إليها إلا بأمر ربه ، فهو مطيع له في الحالين ..

هكـــذا حـــال المسلم المطيع لله ، على كل أحواله ممتثل لأمر الله يرجو رحمـــته ويخـــاف عذابـــه ويـــتحكم في شهواته وملذاته ويوجه كل غرائزه ومشاعره وأحاسيسه الوجهة التي يرضى عنها فينال بذلك سعادة الدنيا والفوز والنعيم الدائم في الآخرة .

فـــإذا بادر الصائم إلى الفطر تقرباً إلى مولاه وأكل وشرب وحمد الله ، فإنه يرجى لـــه المغفرة وبلوغ الرضوان بذلك ، وقد جاء في الحديث إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وربما استجيب دعاؤه عند ذلك كما جاء في الحديث المرفوع الذي خرجه ابن ماجة أن للصائم عند فطره دعوة ما ترد ، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه علـــى القـــيام والصيام كان مثاباً على ذلك ، كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والـــنهار الـــتقوي على العمل ، كان نومه عبادة .. فالمباحات بالنية الصالحة تنقلب إلى طاعات وهذه نعمة ومنة من الله تستحق منا الشكر له .. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

قال أبو العالية : الصائم في عبادة ما لم يغتب أحداً وإن كان نائماً على فراشه .. فالصوم جنة أي وقاية ما لم يخرقها والغيبة تخرق هذه الجنة ، فإذا كانـــت الغيبة محرمة فهي في نهار الصوم أشد حرمة وأعظم وزراً ، وقصة المرأتين اللتين صامتا وكادتا أن تهلكا من شدة العطش وأخبر الرسول صلى الله علـــيه وســـلم بحالهما ، فأمر بهما فأحضرتا وقال لهما : تقيأ ، فقآتا قيحاً وصديداً ولحماً عبيطاً ، فقال صلى الله عليه وسلم : " لقد صامتا عما أحل الله وأفطـــرتا على ما حرم الله جلست إحداهما إلى الأخرى فأخذتا يأكلان لحوم الناس " .

أقــول : إن هــذه القصة ليست عن بالنا ببعيد ، ولقد حذرنا رسول الله صــلى الله علــيه وسلم من الغيبة وربى أصحابه من خلال المواقف كما في قصة هاتين المرأتين ، فالدرس لهما ولمن حضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمع بهذا الدرس من أصحابه الذين عاشوا معه ، ولمن جاء بعدهم من المؤمنين وسيبقى هذا الدرس مؤثراً ما بقي للحياة بقية .

فينبغــي للصــائم أن يحافظ على صيامه ، فيبتعد عن كل ما هو محرم وكــل ما زور ، وليتذكر الصائم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لــم يــدع قــول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " .

ومما ينبغي الالتفات إليه والاهتمام به أن يكون الفطر على حلال ، فإن كــان الصائم مفطراً على حرام كان ممن صام عما أحل الله وأفطر على ما حــرم الله ، ولم يستجب له دعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه ومشربه حــرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك . إن هذا الدين عظيم مــا من خير إلا وحث عليه ، وما من شر إلا وحذر منه ، وإن الله عز وجل لا يقــبل مــن العمل إلا طيباً ، فالجسم الذي تربى على الحرام لا خير فيه ، فقوته شريرة ، لا يتورع صاحبه عن الظلم وأكل أموال الناس بالباطل ، وهذا مــن الفساد الذي نهى الله عنه فقال عز من قائل : (والله يحب المفسدين) ، وقــال تعالى : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) ، وهذا الذي تربى بدنه على الحرام بجانب أن دعوته غير مستجابة ، هو كذلك سيكون في النار

جـــزاء مـــا اقترفت يداه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به " .

فـــيا أيهـــا الصوامون اغتنموا هذا الموسم العظيم من مواسم الطاعات ، فهـــي فرصـــة لـــن تعوض إن مرت بدون الاستفادة منها فيما يعود بالأجر والمثوبة ، فلا يدري الواحد منا هل سيعود عليه رمضان في العام القادم أم لا يعـــود ؟ فكـــم من أناس كانوا معنا العام المنصرم أين هم اليوم ؟ لقد سكنوا اللحود وأصبحوا طعاماً للدود وما حل بساحتهم سيحل بنا إن عاجلاً أو آجلاً ، قال تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) ، وقال تعالى : (وكل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) .

وفقـــنا الله وإياكم إلى الخير وجعلنا وإياكم ممن يصوم هذا الشهر إيماناً واحتساباً .

مفهوم الخوف والرجاء :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

إن الخـــوف والرجاء هما جناحا الإيمان وسنقف وقفة مع مفهوم الرجاء وأهميـــته وعلاقته بالإيمان فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب ومـــرغوب عـــند الـــنفس ومما تجدر الإشارة إليه أنه لابد من الأخذ بجميع الوســـائل والأســـباب المشـــروعة ، ثم يأتي رجاء المؤمن بعد هذه الوسائل والأســـباب فيما عند الله عز وجل . وقد علم علماء القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالندرة فيها والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهـــيرها ، ومجـــري حفـــر الأنهـــار وسوق الماء إليها . والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينجو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو إلا من بذر الإيمان وقل ما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه وكما لا ينمو بذر في أرض ســـبخة فينبغي أن يقاس رجاء المغفرة برجاء صاحب الزرع وكل من طلب أرضـــاً طيبة وألقى فيها بذراً طيباً .. ثم أمده بما يحتاج إليه من سقي وغيره ونفـــى عـــنه الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذرة أو يفسدها ثم جلس ينـــتظر فضل الله عز وجل داعياً دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته ثم انتظاره رجاءً . وإن بث البذرة في أرض صلبة سبخة مـــرتفعة لا يصل إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاءً . فالرجاء الحقيقي إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه ووسائله المشروعة الداخلة تحت اختيار

العبد ولم يبق إلا ما هو خارج اختياره وقدرته وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع المفسدة .

فالعبد إذا بث بذر الإيمان في القلب وسقاه بماء الطاعة وطهره من شوك الأخـــلاق الرديـــئة وانتظر من فضل الله تعالى وتثبيته على ذلك إلى الموت وحســـن الخاتمـــة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره حقيقياً . وفرق بين هذا الرجائي وبين ما هو غرور وخداع نفس فالرجاء إن حمل على العمل وحث علـــيه وساق إليه فهو صحيح وإن دعا إلى البطالة والانغماس في المعاصي فهو غرور وخداع نفس كمن يعث في المعاصي وينغمس في الشهوات ويردد بيـــن الفيـــنة والأخرى قوله تعالى : (إن الله غفور رحيم) فمن كان رجاؤه هاديـــاً إلى الطاعة وزاجراً عن المعصية فهو الرجاء الصحيح . ومن كانت بطالته رجاءً ، ورجاؤه تفريطاً ، فهو المغرور المخادع نفسه . فلو أن رجلاً كانـــت لـــه أرض يؤمل أن يعود عليه منها ما ينفعه فأهملها ولم يبذرها ولم يحـــرثها وحسن ظنه أن يحصد منها الخير ، فهذا يمني نفسه بالأماني الكاذبة والوعود الجازعة . الرجاء لابد له من العمل بطاعة الله والبعد عن معصيته ثـــم بعد ذلك يرجو من الله القبول والطاعة ، ويسأله العفو والمغفرة ، لأن لن يدخل أحداً عمله الجنة . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا إلا إن يتغمدني الله برحمة منه وفضل " .

ولقـــد كـــان الســـلف الصـــالح رحمهـــم الله يعلمون هذا جيداً فيعملون الصـــالحات ويـــرجون مـــن الله القبول والتوفيق .. يقول أحد السلف : [ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها] ، فأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي

جعلت الرجاء مني بعفوك سلما

تعاظمـــني ذنبي فلـــما قرنتـــه

بعفوك ربي كان عفوك أعظما

هكـــذا كـــان الســـلف رحمهم الله يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ويؤملون ويـــرجون القـــبول وحسن الختام ، هكذا تربوا في مدرسة الإيمان ونهلوا من كـــتاب الله وســـنة رســـوله ما جعلهم أئمة يقتدى بهم في الأخلاق والسلوك والعقيدة والآداب ، رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة ، ونسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يخافه ويرجوه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخوف والرجاء هما جناحا الإيمان :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فالـرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب ومرغوب عند النفس ومما تجدر الإشارة إليه أنه لابد من الأخذ بجميع الوسائل والأسباب المشروعة ، ثم يأتي رجاء المؤمن بعد هذه الوسائل والأسباب فيما عند الله عز وجل . وقد علم علماء القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالندرة فيها والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ، ومجري حفر الأنهار وسوق الماء إليها . والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينجو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو إلا من بذر الإيمان وقل ما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه وكما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء المغفرة برجاء صاحب الزرع وكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً طيباً .. ثم أمده بما يحتاج إليه من سقي وغيره ونفى عنه الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذرة أو يفسدها ثم جلس ينتظر فضل الله عز وجل داعياً دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته ثم انتظاره رجاءً . وإن بث البذرة في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا يصل إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاءً . فالرجاء الحقيقي إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه ووسائله المشروعة الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما هو خارج اختياره وقدرته وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع المفسدة .

فالعبد إذا بث بذر الإيمان في القلب وسقاه بماء الطاعة وطهره من شوك الأخـــلاق الرديـــئة وانتظر من فضل الله تعالى وتثبيته على ذلك إلى الموت وحســـن الخاتمـــة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره حقيقياً . وفرق بين هذا الرجائي وبين ما هو غرور وخداع نفس فالرجاء إن حمل على العمل وحث علـــيه وساق إليه فهو صحيح وإن دعا إلى البطالة والانغماس في المعاصي فهو غرور وخداع نفس كمن يعث في المعاصي وينغمس في الشهوات ويردد بيـــن الفيـــنة والأخرى قوله تعالى : (إن الله غفور رحيم) فمن كان رجاؤه هاديـــاً إلى الطاعة وزاجراً عن المعصية فهو الرجاء الصحيح . ومن كانت بطالته رجاءً ، ورجاؤه تفريطاً ، فهو المغرور المخادع نفسه . فلو أن رجلاً كانـــت لـــه أرض يؤمل أن يعود عليه منها ما ينفعه فأهملها ولم يبذرها ولم يحـــرثها وحسن ظنه أنه يأتي منها ما يأتي ، تعده الناس من أسفه السفهاء . وكذلـــك لو حسن ظنه وقوى رجاؤه بأن يجيبه ولد من غير زواج أو يصير أعلـــم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام على تحصيله ، وكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه بالفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير تقرب إلـــى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبجانب أن هذا سفه وغرور فهـــو مـــن الأمانـــي الكاذبة وخداع النفس . وإن كثيراً من الجهال والسفهاء اعـــتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وصفحه ومغفرته فضيعوا أمره ولم يبـــتعدوا عـــن نهـــيه ونســـوا أنه شديد العقاب وأن بأســـه لا يرد عن القوم المجرميـــن . فمـــن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو معـــاند ومكابـــر ، قـــال معروف : رجاؤك لرحمة من لا تعطيه يعتبر من الخذلان والحمق . وقال الحسن رحمه الله يصف قوماً من هذا القبيل : إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة يقول أحدهم إني أحسن الظن

بربي . كذب والله لو أحسن الظن لأحسن العمل . فالرجاء الحقيقي إنما يكون مـــع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره ، فيأتي العبد بهـــا ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ويعرض عما يعارضها ويبطل أثرها . ومما ينبغي أن يعلم أن الرجاء الحقيقـــي يستلزم ثلاثة أمور : أحدها : محبة ما يرجوه . والثاني : خوفه من فواته . والثالث : سعيه في تحصيله بالأخذ بالأسباب والوسائل المشروعة هذا هو الرجاء الحقيقي أما رجاء لا يقترن بشيء من ذلك فهو من باب الأماني . فالـــرجاء شيء والأماني شيء آخر . فكل راج خائف والسائر على الطريق أسرع السير مخافة الفوات ، قال صلى الله عليه وسلم : " من خاف أدلج ومن أدلـــج بلـــغ المـــنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة " ، وقال تعـــــالى : (إن الذيـــن آمـــنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يـــرجون رحمة الله) ، يعني أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله . وينبغي للمؤمـــن أن يحسن الظن بربه ، قال صلى الله عليه وسلم : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل " قال العلماء : معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه وفي حال الصحة يكون خائفاً راجياً . لكن السلف رحمهم الله تعالى استحبوا أن يقوى في حال الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف . لأن مقصـــود الخوف الكف عن المعاصي وترك القبائح مع الحرص على الإكثار مـــن الطاعات وصالح الأعمال . عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتنـــي غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي " ، وعن فقير بن مسكين قـــال : دخلت على الشافعي أعوده في مرض فقلت لـــه كيف أصبحت يا أبا

عــبدالله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً وفي رجاء عفو ربي طامعاً .

لقد كان السلف رحمهم الله يغلبون جانب الخوف في حال الصحة وجانب الــرجاء عــند قرب الرحيــل من الدنيا لأنهم بذلك عرفوا طريق الســلامة والــنجاة .. نسأل الله العظيم أن يجعلنا سائرين على نهجهم المقتفين لآثارهم والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل .

المؤمن في سيره إلى الله بين الخوف والرجاء :-

الحمـــد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فـــإن المؤمن يوجه كل أحاسيسه وعواطفه وانفعالاته وجهة إيمانية ، فلا يـــرجو إلا الله . ولا يخاف إلا منه ولا يحزن إلا إذا فاته شيء من طاعة الله أو صـــرف وقـــتاً مـــن أوقاته في معصية الله ولا يتوجه حبه الكامل إلا لله ولرســـوله ولكتابه وإلى كل ما يحبه الله ورسوله . هكذا رباه الإسلام ووجهه هذه الوجهة . فلو أخذنا مثلاً الخوف وأردنا الحديث عنه فإننا نقول : الخوف ســـوط الله يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالى وهـــو عـــبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل وهو عـــارض مـــن عوارض النفس ويتعلق بأفعال العبد ، يقول ابن القيم : [ولا يخرج عن كون سببه جناية العبد وإن كانت جنايته من قدر الله] .

فمـــتعلق الخـــوف ذنب العبد وعاقبته ولقد استشهد رحمه الله بأثر لأمير المؤمنيـــن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء فيه : [لا يرجونّ عبد إلا ربـــه ولا يخافـــنّ عبد إلا ذنبه] ، وهذا الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويلزمها بالطاعات فكلما كان العبد أعرف لربه كلما كان أشد خشية لـــه ويراقـــبه علـــى كل أحواله ويخشى أن يقع فيما يغضبه هذا هو الخوف الحقيقـــي أمـــا الخوف القاصر فإنه يدعو العبد إلى الغفلة والجرأة على الذنب ويحـــتج بأن الله غفور رحيم أو يتناسى أنه شديد العقاب والإفراط من الخوف

يدعـــو إلى اليأس والقنوط والمؤمن لا يقنط من رحمة الله بل هو يعيش بين الخوف والرجاء وهما جناحا الإيمان وينبغي أنن يكون في مستهل حياته وفي شـــدته وعافيته مغلباً لجانب الخوف على الرجاء أما في حال ضعفه ومرضه فينبغي أن يغلب جانب الرجاء على الخوف .

روي عـــن بعض السلف رحمهم الله تعالى أنه كان على فراش الموت فدعا بعض أهله وقرأ آيات الرجاء . والخوف من الله تعالى تارة لمعرفة الله تعـــالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبالي ولم يمنعه مانع وتارة يكـــون لكثرة جناية العبد باقتراف المعاصي وتارة يكون بهما جميعاً ، ويجب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه (لا يُسأل عما يفعـــل وهـــم يُسألون) تكون قوة خوفه . فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبـــربه ، قال تعـــالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ) ، وقال صـــلى الله عليه وسلم : " والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية " ، قال ابن مسعود رضـــي الله عنه : كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهـــلاً . ويقول ابن القـــيم : [إن الخـــوف مـــن لوازم الإيمان وموجباته فلا يتخلف عنه] .. ونقصـــان الخـــوف مـــن الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به فأعرف الناس أخشاهم لله ، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له ، وكلما ازداد معرفة ازداد حياءً وخوفاً وحباً .

وللخـــوف درجات فقد يكون الخوف قاصراً وقد يحصل فيه إفراط وقد يكـــون معتدلاً . والمحمود هو الاعتدال والتوسط في الخوف أما القاصر فهو الـــذي يشـــبه عاطفـــة النساء ويجري مجرى رقتهم ويخطر هذا الخوف عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء فتفيض العين بالدمع . كما قد يحصل عند

مشاهدة حدث هائل وسبب مخيف فإذا غاب ذلك عن الحس . رجع القلب إلى الغفلـــة وهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع ، وهو كالقضيب الرفيع الـــذي تُضرب به دابة قوية ، لا يؤلمها ألماً مبرحاً ، فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها ، وهكذا خوف كثير من الناس إلا العلماء العارفين . قال الفضـــيل بـــن عياض : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ، فإنك إن قلت لا كفرت ، وإن قلت نعم كذبت . وأشار به إلى الخوف الذي يكف الجوارح عن المعاصـــي ويقيدها بالطاعات . وقيل كذلك : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال بعضهم : من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه . وقيل لبعضهم : متى يكون العبد خائفاً ؟ إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام . والخوف يحرق الشهوات المحرمة فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكـــروهاً عـــند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً فتحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في الخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد . أما الإفراط في الخوف فهو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرف إلـــى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل . وللخوف منزلة رفـــيعة وفضـــيلة عظيمة فقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضـــوان وهـــي مجامع مقامات أهل الجنة ، قال تعالى : (هدىً ورحمة للذيـــن هـــم لربهم يرهبون) ، وقال تعالى : (إنما يخشـــى الله من عبـــاده العلماء) ، وقال عز ومن قائل : (رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشـــي ربـــه) ، وقـــال تعالى حاكياً حال أهل الجنة : (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) ، وقال تعالى : (إن الذين هـــم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم

لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) ، قالت عائشة رضي الله عنها وهي تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون ؟ قال : " لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات " ، ولقد كان خوف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهاً الوجهة الإيمانية فكانوا يعملون الصالحات ويسابقون في الطاعات ومع ذلك يخافون ألا يتقبل منهم فهذا علي رضي الله عنه قد سلم من صلاة الفجر وقد علته كآبة وهو يقلب يده ويقول : لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتوا سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأني بالقوم باتوا غافلين . أي يقصد بالقوم الذين يعيشون معه ، فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى طعنه ابن ملجم .

اللهم إنا نسألك خشيتك والخوف منك والحب لك ، اللهم استعملنا في طاعتك ، وخذ بنواصينا إلى الخيرات .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

اللجوء إلى الله يجعل جميع المشاعر والأحاسيس متوجهة إليه :-

الحمد لله الكريم المنان صاحب الفضل والإحسان قضاؤه عدل وعطاؤه فضل ومنة ، والصلاة والسلام على الرسول الكريم والمربي العظيم الذي عرف أدواء النفوس وأدواء القلوب وأعطى العلاج الناجع الذي تلقاه من الوحي المنزل عليه : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .. أما بعد :

فإن الهم والحزن من أمراض النفوس وأدوائها المهلكة ، فالهم إذا استحكم بالإنسان اشغله عن كل شيء حتى عن نفسه ، فتخور قواه البدنية وتضعف قدراته العقلية والعاطفية وتضعف إرادته ويصبح كلاً على مولاه أين ما يوجهه لا يأتي بخير . وكذلك الحزن إذا تمكن من القلب مرضت بذلك النفس وانشغلت بالتفكير العقيم من كل شيء ، ولما كان المسلم عضواً فعالاً وإيجابياً في هذا الوجود فإنه لا يليق به أن يكون حزيناً مهموماً منصرفاً بحزنه وهمه عن أداء رسالته في هذا الوجود والقيام بمسؤوليته بوصفه خليفة عن الله في الأرض منشغلاً عما هو سبب سعادته في الدارين . ولكنه لا يسلم من هذين المرضين فقد يلم به أحدهما أو كلاهما فما هو الخلاص له مهتماً وما هو العلاج ؟ لقد سبق وأن تحدثنا عن الهم والحزن وإننا لنبحث في السنة النبوية عن العلاج الشافي لهذين المرضين إنه العلاج المأخوذ من مشكاة النبوة ومن معين التربية الإسلامية ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أصاب عبد هم ولا حزن

فقـــال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو أستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكـــريم ربـــيع قلبـــي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي ، إلا أذهـــب الله همـــه وغمـــه وأبدـــله مكانه فرحاً " قالوا : يا رســـول الله أفلا نتعلموهـــن ؟ قال " بلى ، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن " . ففي هذا الحديث فوائـــد تربوية وحكماً بالغة ودروساً عظيمة فقد تضمن معرفة الله وتوحيد هو عبوديته وحده دون سواه : وأن العبد كما يقول ابن القيم رحمه الله ليس لـــه غـــير باب سيده وفضله وإحسانه ، وأن سيده إن أهمله وتخلى عنه هلك ولم يأوه أحد ولم يعطف عليه بل يضيع أعظم ضيعة .. فهو معترف بأنه لا غنى بـــه عنه طرفة ولا أدنى من ذلك وليس له من يعوذ به ويلوذ غير سيده عز وجـــل .. وقـــد تضـــمن هذا الاعتراف أنه مربوب مدبر مأمور منهي إنما يتصـــرف بحكـــم العبودية لا يحكم الاختيار لنفسه ، قال تعالى : (وما كان لمؤمـــن ولا مؤمـــنة إذا قضـــى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخـــيرة من أمرهم) ، فعبيد الله تصرفهم على محض العبودية لربهم وخالقهم وهؤلاء هم عبـــيد الطاعـــة المضافون إليه سبحانه وتعالى كما في قوله عز وجل : (إن عـــبادي لـــيس لـــك عليهم سلطان) ، وقوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشـــون فـــي الأرض هوناً) ومن عداهم عبيد القهر والربوبية .. فقوله إني عبدك التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة وامتثال أمر سيده واجتناب نهـــيه ودوام الافتقار إليه واللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه والتعوذ به وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبةً وخوفاً ورجاءً . وفيه أيضاً أني عبد من جميع الوجـــوه صـــغيراً وكبـــيراً حياً وميتاً مطيعاً وعاصياً معافى ومبتلى بالروح والقلب واللسان والجوارح وفيه أيضاً أن مالي ونفسي لك لأن العبد وما يملك

لسيده . وفيه أيضاً أنك أنت الذي مننت علي بكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله مـــن إنعامك على عبدك . وفيه أيضاً أني لا أتصرف فيما خولتني من مالي ونفســـي إلا بأمرك كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده وإني لا أملك لنفسي ضـــراً ولا نفعـــاً ولا موتـــاً ولا حياةً ولا نشوراً . ناصيتي بيدك : أي أنت المتصـــرف فـــيّ تصرفني كيف تشاء لست أنا المتصرف في نفسي . وكيف يكـــون لـــه في نفسه تصرف ونفسه بيد ربه وسيده وناصيته بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه ليس إلى العبد منه شيء . بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضـــعيف صغير ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له تحت تصرفه وقهره . بل الأمـــر فـــوق ذلك . ومتى شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلهم بيد الله وحـــده يصـــرفهم كيف شاء لم يخفهم بعد ذلك ولم يرجوهم ولم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين المتصرف فيهم سواهم والمدبر لهم غيرهم فمتى شهد العبد بهذا صار فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له . ومتى شهد بأن الناس كذلك لم يفتقر إليهم ولم يعلق أمله ورجاؤه بهم فاستقام توحـــيده وتوكلـــه وعبوديته ولهذا قال هو عليه السلام لقومه : (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مســـتقيم) . وقولـــه ماض فيّ حكمـــك عدل فيّ قضـــاؤك : تضمن أمرين أحدهما : قضاء حكمه في عبده . والثاني يتضمن حمده وعبده وهو سبحانه له الملـــك وله الحمد . وفي هذا رد على الطائفتين القدرية الذين ينكرون عموم أقضـــيته في عبده ويخرجون أفعال العباد عن كونها بقضائه وقدره ويردون القضـــاء إلـــى الأمر والنهي وعلى الجبرية الذين يقولون كل مقدور عدل فلا يـــبقى لقولـــه عدل فيّ قضاؤك فائدة . وقوله : أسألك بكل اسم إلى آخر ذلك توسل إليه بأسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم وهذه أحب الوسائل إليه

فإنها وسيلة بصفاته وأفعاله التي هي مدلول أسمائه . وقوله : أن تجعل القرآن ربـــيع قلبي ونور صدري . الربيع المطر الذي يحي الأرض شبه القرآن به لحـــياة القلـــوب به ، فتضمن الدعاء أن يحي قلبه بربيع القرآن وأن ينور به صـــدره فتجتمع لـــه الحـــياة والنور ، قال تعالى : (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا لـــه نوراً يمشي به في النـــاس كمن مثله في الظلـــمات ليس بخارج مـــنها) ، ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسري منه إلـــى القلب . ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب تسري الحياة منه إلى الصدر ثم إلى الجوارح سأل الحياة له . ولما كان الحزن والهم والغم يضـــاد حياة القلب واستنارته . سأل أن يكون ذهابها بالقرآن فإنها أحرى ألا تعود .

إن هذا الدرس النبوي هو في التربية الإيمانية والتربية العاطفية والتربية الإراديـــة . وهذا ما يؤكد شمولية منهج هذه التربية والتوازن الذي جاء به . فمـــن الـــتزم هـــذا الهدي وسار على هذا المنهج استقام أمره وسعد في دنياه وآخرته .

جعلنا الله هداة مهتدين .

وصـــلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين .

البـــــاحث

د . حسن بن علي الحجـــــــاجي

من مدينة الطـــــــائف المأنوس